التناص القرآني في خمريات صفي الدين الحلي

الأستاذ المساعد الدكتور

حسين چراغى وش (الكاتب المسؤول)

cheraghivash.h@gmail.com

ط الب الدكتوراه محمد رضازاده كاورى

جمهورية إيران الإسلامية

جامعة لورستان - فرع اللغة العربية وآدابها

إنّ ظاهرة التناص الديني والتفاعل مع النصوص القرآنية من التقنيات الأسلوبية التي حفل بها الشعر...وبما تمتلكه هذه الظاهرة من مصداقية وحظوة في توسيع فضاء المعني في النص الشعري، تُعمِّق الشعر وتجعله مفتوحا علي التأويل والتفسير في الذات الإنسانية. يسعي هذا البحث لدراسة هذه الظاهرة في جميع مقطوعات الباب السابع من ديوان الشاعر صفي الدين الحلي المعنون ب"الخمريات والنبذ والزهريات" والذي يشمل تسعين مقطوعة شعرية حيث يُستَبعَد التناص القرآني في مثل هذه الاشعار(الخمريات) خصوصا وإنَّ تطرُّق الحلي إلي الخمرة في شعره لايعد من نوع الخمرة الصوفية المليئة بالرموز و الإشارات بل بإمكاننا أن نعدها من طراز الخمرة النواسية وإن كانت الخمرة النواسية حسب قول البعض هي التي اتخذها الصوفيون رمزا إلي اللذات الروحية. و كذلك نريد أن نطلع علي أنواع التناص المستخدمة في تلكم الأشعار و اتخذت هذه الدراسة المنهج التوصيفي-التحليلي طريقا للتعرف علي مبتغاها و تَبيّن أن الحلي قام باستعمال التناص بأشكاله المختلفه في خمرياته.

الكلمات المفتاحية : صفي الدين الحلي - التناص القرآني - الخمريات .

المقدمة:

«لقد استُعملت الصور الفنية المتعلقة بالخمرة وأوانيها ومجالسها وما تثيره في النفس من خدر ونشوة، كثيرا في الشعر...لوصف غيرها من الأشياء المادية والمواقف وحالات الشعور. وبهذا فتح أدب الخمرة بابا آخر للصور والأدوات التي رفدت غيرها في

نسيج... الشعر و كغيرها من الصور الفنية... تميزت الصور الخمرية بالمادية في التشبيه في الغالب الأعم، كوصف الشئ بالشئ، بإبراز وجه الشبه بينهما والاشارة إليه تعريضا او تصريحا ولكنها سمحت في حالات قليلة بمستوي من التجريد... تجلي في استعارة حالة الخدر و النشوة لوصف غيرها من حالات الشعور المنفصلة عنها.»(حسين حيدر ، ١٩٨٦: ١١٦)

والحال في خمريات شاعرنا الحلي هكذا كما أسلفنا و يصف محمود رزق سليم الخمريات في عصر المماليك ويقول بأن: « شأنها شأن الغزل، تتقدم أبيات المديح، أو تنظم في قصائد أو مقطوعات مستقلة، ويدفع إلي نظمها حبٌ اللهو أو التسلي، وقد كان شرب الخمر متفشيا إذ ذاك، واندسّت في المنازل والأديرة، حتي اضطر بعض السلاطين كبيبرس إلي محاربتها. وقد وصفها الشعراء فأبدعوا في وصفها هي و ما يتصل بها من كئوس ومجالس وغلمان وندامي وقيان.» (رزق سليم،١٩٥٧: ٥٧)

قبل أن ندخل في صلب الموضوع يجب أولا أن نتعرف علي صفي الدين الحلي وثانيا نلقي نظرة علي موضوع التناص لغويا و اصطلاحيا وأساليبه المستخدمة.

الف: صفي الدين الحلي:(١٢٧٨-١٣٤٩م /٦٧٧- ٧٥٠ه)

إنما شاعرنا فهو ذو مقدرة أدبية كبيرة، و الذي يعد في طليعة شعراء العهد المملوكي أو فترة الانحطاط أو ما يسمي بالعهد التركي و هو عهد«حكم {فيه}المماليك البلاد المصرية من سنة ٦٤٨ ه إلي سنة ٩٢٣ ه و قد أقاموا دولتهم علي أنقاض الأيوبيين واستمروا في الحكم إلي أن فتح العثمانيون هذه البلاد.» (المصدر نفسه :١٠) هكذا يترجم له صاحب كتاب تاريخ الأدب العربي: «هو عبدالعزيز بن سرايا، ولد بالحلة من مدن الفرات، واتصل بأمراء الدولة الأرتقية في ماردين، ثم رحل إلي مصر ومدح السلطان ناصر بن قلاوون، وكانت وفاته في بغداد. لصفي الدين ديوان جمعه هو نفسه و قد طبع مرارا في دمشق وبيروت وفيه جميع ابواب الشعر المعهوده. وله ايضا- القصائد الأرتقيات- ...و قد نظم القصائد الطويلة والمقطعات والموشحات والمخمسات والمشطرات والمواليا والقوما وغيرها. يعد شاعرنا بحق في طليعة شعراء هذا العصر. أغرم

بالبديع فكان أول من نظم القصائد التي تجمع أنواعه وتعرف بالبديعيات. وكان ذا مقدرة أدبية كبيرة، فيلين إذا أراد ويشتد في مواقف الشدة و يطمح إلي معارضة المتنبي غير هياب كما فعل عند ما مدح السلطان الناصر بقصيدته التي مطلعها:

أسـبَلنَ مـن فـوقِ النهـودِ ذوائبـا فتركـنَ حبـات القلـوبِ ذوائبـا

و كان ينزع إلي هجر الكلام العويص واستعمال السهل السائغ ويقول:

إنمـا هـذه القلـوبُ حديـدٌ ولذيـذ الألفـاظ مغنـاطيسُ»

(الفاخوري ، ١٣٩٠ه :٨٦٦)

كما يقول آخر عنه في بحثه واصفا نشأته وثقافته: «نشأ الحلي في أحضان عشيرته السنبسية الطائية التي كان لها آنذاك منزلتها وخصوماتها مع جيرانها و أحس في نفسه ميلا شديدا إلي الشعر، فأكب علي حفظ نصوصه العباسية والإسلامية والجاهلية، الأمر الذي جعله يعني بتضمين كثير من هذه النصوص في شعره وبعض موشحاته. كما تعلّم علم المعاني والبيان والعربية...مكنته موهبته الشعرية من البروز والأزدهار و أشار إلي ذلك في مقدمة ديوانه إذ قال: إني كنت قبل أن أشب عن الطوق و أعلم ما دواعي الشوق، لَهِجا بالشعر نظما وحفظا متقنا علومه معني ولفظا. وفضلا عن ذلك نستطيع من جانب آخر أن نتلمس ثقافته من شعره الذي يبدو من خلاله أنه كان ضليعاً في اللغة، قادرا علي صوغ الشعر دون عناء، فاهما لأساليب الأقدمين والمحدثين، يستطيع أن يعالج صعبها وسهلها في يسر ومطاوعه، وأنه كان متمكنا أيضا في علم البديع و البيان والمعاني، فقد نظم بديعيته نظم العالم الذي أراد أن يدون معلوماته في هذه الفنون وما اخترعه منها، وقد تجاوزت عنده مائة وخمسين لونا، ثم شرحها شرح العالم و ذكر أنه قرأ سبعين كتابا قبل نظمها و قرأ مئة وأربعين كتابا قبل شرحها.» (فوزي الهيب ، ٢٠٠٤ : ٨٥و ٨٦)

أما بالجانب الاعتقادي فهو إنسان ملتزم ومعتقد حيث نقرأ بقلم كرم البستاني في مقدمة ديوان صفي الدين الحلي:«كان صفي الدين شيعيا قحا، و شيعيته شديدة البروز في شعره» (الحلي ، د.ت : ٥) فيستمر و يصف عصره كما يلي: «ولما فقد الأمر في الحلة و وقعت فيها حروب بين أهل هولاكو لأجل العرش، خاض صفي الدين غمارها

فأظهر بطوله و شجاعه ينمُ عليهما شعره ....علي أن تلك الفتن ما لبثت أن حملته علي الرحيل إلي آل ارتق ملوك ديار بكر بن وائل، فمدح الملك المنصور نجم الدين أبا الفتح غازي بتسع وعشرين قصيدة، كل منها تسع وعشرون بيتا علي حرف من حروف المعجم بدأ كل بيت منها به وبه ختمه، وسماها درر النحور في مدائح الملك المنصور□(المصدر نفسه : ٥) ويعده محمود رزق سليم من فرسان الحماسة في عصر المماليك.(رزق سليم، ١٩٥٧: ٧١)

ب: التناص:

لغة واصطلاحا: النص أو التناص الذي هو«متعدد المفاهيم وهو نظرية حديثة ظهرت عام١٩٦٠ م» (سارة ، د.ت :١٠)يعبر عنه البعض ب«التداخل النصي و التعالق النصي وهجرة النص و فسيفساء من نصوص أخري» (المصدر نفسه، ص٣٥)ويصفه مصطفي السعدني في كتابه "التناص الشعري" بأنه«في اللغة يعني البلوغ والاكتمال في الغاية»(السعدني،١٩٩١: ٧١) ونقرأ في مكان آخر «إنه في أبسط تعريفاته، تداخل النصوص، بمعني أن يتضمن نص ما، نصوصا أو أفكارا أخري سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الاشارة إليه أو ماشابه ذلك المقروء الثقافي لدي الاديب، بحيث تندرج هذه النصوص مع النص الاصلي ليتشكل نص جديد متكامل» (سليمي، ١٣٩١ : ١٠٥)كما تكتب زاوي سارة في إحدي بحوثها عن التناص لغة و اصطلاحا وتقول:«مصطلح التناص كمادة لغوية لم تذكره المعاجم اللغوية القديمة إلّا في "تناص القوم" عند اجتماعهم أي: ازدحموا، والتناص لغة: من نص الشئ نصا: رفعه وأظهره وفلان نص: استقصي مسألته عن الشئ حتي استخرج ماعنده، هوالنص مصدرٌ أصله أقصي الشئ الدال علي غايته أو الرفع والظهور...يظهر مصطلح التناص في الدراسات النقدية والادبية المعاصرة محافظا علي المدلول اللغوي القديم نفسه تقريبا لكن هذه المرة يركز علي تراكم النصوص و ازدحامها في مكان هندسي يشغل حيزا من بياض الورق حيث تتفاعل النصوص ببعضها البعض و تتعالق لتخلق من النص الأول نصا ثانيا يتشظي في نص آخر لتشكل مجريات التناص من خلال عملية اقتباس الصور لبناء الصور الكلية »(سارة ، د.ت ،١٣) و يعتبر التناص من النظريات النصية الحديثة التي ولدت في حقول السيميائية والبنيوية(علاء الدين،٢٠١٤: ٦)والجدير بالذكر أن

مصطلح التناص هو مأخوذ من مصطلح intertextuality الانجليزي... الذي دخل البحوث النقديه العربيه منذ القرن العشرين.(سيفي ، ١٣٩٠ : ٧٢)

١- أشكال التناص:

قُسّم التناص بأشكال مختلفة و متفاوتة من قبل الأدباء والكتّاب و الشعراء، و قام البعض بتقسيمات للتناص حيث لاقي البعض من هذه التقسيمات إقبال النقاد و الادباء و البعضُ الآخر لم يلقي الإقبال فعلي سبيل المثال المبدعة لمصطلح التناص أي جوليا كريستيفا هي بنفسها تقسم المصطلح هكذا في إحدي كتاباتها و تقول: «إن مشكل تقاطع وتفسّخ عدة خطابات دخيلة في اللغة الشعرية قد تم تسجيله من طرف سوسير في التصحيفات و قد استطعنا من خلال مصطلح التصحيف الذي استعمله سوسير بناء خاصية جوهرية لاشتغال اللغة الشعرية عيناها باسم التصحيفية أي إمتصاص نصوص(معاني) متعددة داخل الرسالة الشعرية التي تقدم نفسها من جهة أخري باعتبارها موجهة من طرف معني معين»(جوليا،١٩٩١م : ٧٨) و عند تقسيم المصطلح تتابع قولها هكذا: «و قد استطعنا تمييز ثلاث أنماط بين الترابطات بين المقاطع الشعرية للأشعار والنصوص الملموسة و القريبة من صيغتها الأصلية لشعراء سابقين: النفي الكلي...النفي المتوازي...النفي الجزئي» (المصدر السابق:٧٩).

يمكن اعتبار التقسيم الذي أشار إليه أحد الباحثين في دراسة له، حيث يكتب:« أنّ أشكال التناص الشعري...يمكن أن تصنف ضمن ثلاثة أنواع هي:

الف) الاجترار: هو تكرار للنص الغائب من دون تغيير ما كان يسمي بالاقتباس، أي أن الشاعر يكتفي بإعادة النص مثلما هو أو بإجراء تعديل طفيف لا يمس جوهره.

ب) الامتصاص: هو شكل أعلي وأكثر قدرة علي خلق شعرية في النص الجديد حيث يتعامل الشاعر من النص المتناص تعاملا حركيا تحويليا لا ينفي الاصل، بل يسهم في استمراره جوهرا قابلا للتجديد، أي أن الامتصاص لا يجمد النص الغائب ولا ينقله بل يعيد صياغته من جديد وفق متطلبات فكرية و تاريخية جمالية.

ج) التحوير: يعتبر هذا النوع من أنواع التناص أعلي مرحلة من مراحل النص الغائب. فالشاعر يقوم بتغيير للنص المأخوذ (=المتناص) بأن يحدث عليه تغييرا عن طريق القلب أو التحوير.» (سليمي ، ١٣٩١: ١١٠) علما بأن هذا الأسلوب من التقسيم

مقبول عند الكثير من الادباء والنقاد وتطرق إليه الكثير من جملتهم: محمد عزام في كتابه "شعرية الخطاب السردي" و خليل موسي في كتاب" قراءات في الشعر العربي الحديث و المعاصر" وليديا وعد الله في كتاب" التناص المعرفي في شعر عزالدين المناصرة". (المصدر نفسه، ص ١١٠)

والبعض الآخر من الأدباء والناقدين ضمن موافقته لتقسيم التناص بالشكل المذكور أعلاه إلا إنه يسميه "قوانين التناص" بدل وظائف التناص و أشكاله و يعرف هذه القوانين بتعريف يبدو أوضح من التعاريف السابقة الذكر.« يمكن تحديد ثلاثة قوانين للتناص، تحدد علاقة النص الغائب بالنص الماثل وهي:

١- الاجترار، وفيه يستمد الأديب من عصور سابقة ويتعامل مع النص الغائب بوعي سكوني فينتج عن ذلك انفصال بين عناصر الابداع السابقة و اللاحقة ويمجد السابق حتي لو كان مجرد شكل فارغ...

٢- الامتصاص، وهو أعلي درجة من سابقه وفيه ينطلق الأديب من الاقرار بأهمية النص الغائب وضرورة امتصاصه ضمن النص الماثل كاستمرار متجدد.

٣- الحوار، وهو أعلي المستويات ويعتمد علي القراءة الواعية المعمقة التي ترفد النص الماثل ببنيات نصوص سابقة ، معاصرة أو تراثية وتتفاعل فيه النصوص الغائبة والماثله في ضوء قوانين الوعي و اللاوعي..» (عزام، ٢٠٠١: ٥٤)ومن جملة من وافق علي هذه القوانين هو محمد بنيس في كتابه "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب"،و حسب رأيه «فإن التناص يتراوح استخدامه بين طرائق ثلاث هي: التناص الاجتراري، التناص الامتصاصي، التناص الحواري.» (سارة ، د.ت :٤٣)

كما ونري أساليب أخري لتقسيم التناص ومن جملتها: تقسيم التناص إلي التناص اللفظي و التناص المعنوي. وينقسم التناص اللفظي الي التناص الجملي و التناص مع كلمة مفردة، حيث تطرق لهذا النوع من التناص عبدالمنعم محمد فارس سليمان في اطروحته لنيل درجة الماجستير تحت عنوان " مظاهر التناص الديني في شعر احمد مطر" فيقول في جانب منها: «إن مظاهر التناص الديني في شعر احمد مطر تراوحت مابين الاقتباس لنصوص دينية كما هي دون إجراء تحوير عليها أو إشراب النص الشعري معان دينية بحيث يكون هذا الإشراب مباشرا أو طوافا حول ذلك

المعني، فقد تضمن شعره حشدا كبيرا من المفردات والعبارات والمعاني ذات البعد الديني ومصطلحات اختصر استخدامها علي القران الكريم و الحديث الشريف.» (محمد فارس سليمان ، ٢٠٠٥ : ١٤٦)

التناص اللفظي كما يتبين من اسمه يقع في الالفاظ و التناص المعنوي يكون في الفكرة والمعني دون اللفظ غالبا. إذا كان في التناص المعنوي تاييدا للنص المأخوذ، فهو امتصاص. و من الممكن ان يقوم الشاعر باستخدام الالفاظ الدينية مثل استخدام الآيات القرآنية أو الاحاديث المروية فهو في هذه الحالة يجعل تناصه اللفظي دينيا.

لم تنحصر تقسيمات ظاهرة التناص إلي القسمين اللذين ذكرناهما سابقا بل نجد تقسيمات أخري، منها: تقسيم التناص الي التناص الظاهر والتناص اللاشعوري.«ينقسم التناص حسب توظيفه في النصوص الي: التناص الظاهر: ويدخل ضمنه الاقتباس و التضمين ويسمي ايضا التناص الواعي أو الشعوري "الافقي ،السطحي". التناص اللاشعوري: تناص "الخفاء" ويكون فيه المؤلف غير واع بحضور نص في النص الذي يكتبه، وهذا ماذهب إليه محمد بنعمارة في كتابه "الصوفية في الشعر المغربي المعاصر.»(معاش ،٢٠٠٤ : ١٨)

أما جوليا كريستيفا التي تبنت مبدأ الحوارية و ضمنته في مصطلح التناص الذي أوجدته ، لها تقسيم آخر و هي تسمية مسئوليات التناص .«وقد استخرجت كريستيفا ثلاثة قوانين لتداخل النص وقد حصرتها في ثلاثة أنماط هي:

الف- النفي الكلي: يري جمال مباركي في كتابه "التناص و جمالياته في الشعر الجزايري المعاصر : " أنه في هذا المستوي يقوم المبدع بنفي النصوص التي يتنصّصها، نفيا كليا دلاليا، ويكون فيه معني النص قراءة نوعية خاصة تقوم علي المحاورة لهذه النصوص المتميزة وهنا لابد من ذكاء القاري الذي هو المبدع الحقيقي الذي يفك رموز الرسالة ويعيدها إلي منابعها الاصلية .يعني أن المقطع الدخيل يكون منفي نفيا كليا أي عدم وجود النص المأخوذ منه و أن يكون معني النص المرجعي مقلوبا. وتوضح ذلك كريستيفا في كتابها اللامع"علم النص"...

ب- النفي المتوازي: وهو مايعرف في الدراسات البلاغية العربية القديمة بالتضمين أو الاقتباس حيث يظل المعني المنطقي في المقطع هو نفسه أي المعني المنطقي للبنية النصية الموظفة هو نفسه البنية النصية الغائبة...

ج- النفي الجزئي: وفيه يأخذ الكاتب/الشاعر بنية جزئية من النص الأصلي يوظفها داخل خطابه مع نفي بعض الاجزاء منه ...وتقصد كريستيفا في هذا النوع من النفي أن يكون جزء واحد من النص المرجعي منفيا...» (سارة ، د.ت : ٤٣)

ونحن في هذه الدراسة سوف نتّبع الطريقة الأولي الأكثر اتباعا عند الناقدين والباحثين للحصول علي أجوبة الاسئلة التالية.

١. هل استفاد شعراء فترة الانحطاط (العصر المملوكي) من ظاهرة التناص في أشعارهم؟
٢. هل يمكن استخدام الأيات القرآنية في مثل هذه الأشعار؟
٣. هل صفي الدين الحلي -أبرز شعراء العصر المملوكي- استخدم التناص في خمرياته؟ بأي شكل و لماذا؟

علما بان الكثير من البحوث كتبت حول شخصية صفي الدين الحلي نذكر منها: ما كتبه احمد الاسكندري تحت عنوان"صفي الدين الحلي" و نشره المجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٣٢و ما كتبه ضياء الربس و نشرته مجلة الرساله رمضان ١٣٥٢العدد ٢٧ و كثير من البحوث كتبت حول الخمريات منها: ماكتبه سيد محمد رضا ابن رسول في مجلة "فصلنامه تخصصي ادبيات فارسي" في عددها التاسع عام ١٣٨٥ه ش تحت عنوان" مقايسه ي خمريات عربي و فارسي(رودكي و ابونواس)" و حول التناص ايضا بحوث جمة و كثيرة منها: "النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي" لكاتبه محمد عزام(٢٠٠١) م ولكن حول التناص في خمريات صفي الدين الحلي لم يشاهد كاتب هذه السطور بحثا او كتابا او مقالا.

التناص و انواعه في خمريات الحلي

الف) اجترار:

كما ذكرنا سابقا هو شكل من اشكال التناص يكون فيه تكرار للنص الغائب من دون تغيير ما، كان يسمي هذا النوع سابقا بالاقتباس، أي أن الشاعر يكتفي بإعادة النص مثلما هو أو بإجراء تعديل طفيف لا يمس جوهره و فيما يلي سوف نستعرض نماذج من الاجترار في خمريات الحلي.

١. مقطوعة "أنعم و شرِّف" من الخمريات تحتوي علي ثلاث أبيات يدعو الشاعر فيها حبيبا له ليحضر في بيته ليشرب المدام معه فهو يبدأها هكذا:

أنعـــــم و شـــــرِّف بـــــالجوابِ، أو زر فقـــــد زادَ الجـــــوي بـــــي
فبمجلســـــي صـــــرفُ المـــــدامِ لـــــدي ســـــواقينا الجـــــوابي

(الحلي ، د.ت : ٥٣٩)

٢. و أما في البيت الثالث يستعرض ادوات توجد في المنزل و هي القدور الراسيات و الجفان كالجوابي:

وبـــــهِ القـــــدورُ الراســـــياتُ لـــــدي جفـــــانٍ كـــــالجوابي

(المصدر نفسه ، د.ت : ٥٣٩)

وبعد قراءة هذا البيت يتبادر إلي ذهن القارئ نص غائب يكمن في سورة سبأ القرآنية حيث يصف الباري تعالي مملكة نبي الله سليمان و كيف يعمل له الجن و كأن الشاعر يريد أن يقارن مابين نعيمه وهو الخمر و قدوره و النعيم الذي أعطي لسليمان(ع). تقول الآية من سورة سبأ: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (١٣/سبأ)

فنجد الشاعر قد أخذ مفرداته من الآية بلا تغيير و فقط استعمل "القدور الراسيات" قبل "جفان كالجواب" حيث في الآية "جفان كالجواب" هو الأول و هذا هو الاجترار بعينه.

الصبغة الغالبة في خمريات الحلي هي مدح الخمرة بأنواعها المختلفة كالراح و الصهباء والطلا و... و أيضا القهوة، و حَثُّ القارئ لتناولها و عدم إهمالها و عدم قضاء العمر بهجرانها والابتعاد عنها و يأخذ الشاعر بالتعليل لفوائدها و حسنها وعدم سخط الباري لمن لا يسرف في شربها و....

٣. يقوم الحلي في مقطوعته المسماة ب"جيب الظلماء" بوصف مجلسه لشرب القهوة التي صنعها الساقون، باستخدام الشواهد القرآنية وما أجمل هذا الاستخدام حيث يعطي النص الشعري روعة مضاعفة. يقول في أبيات هذه المقطوعة كذلك:

و ليلـــةٌ خرّقـــتُ عـــن صـــبحِها جيبـــا، مـــن الظلمـــاءِ مـــزرورا
شـــاهدتُ بـــدرَ الـــتمِّ فيهـــا، وقـــد كـــوّرَ شمـــسَ الـــراحِ تكـــويرا

بتنـــا بهـــا نشـــربُ مـــن قهـــوةٍ قـــدّرها الســـاقونَ تقـــديرا
إن لم تكـــن أكوابُنـــا فضـــة كانـــت قـــواريرا قـــواريرا

(المصدر نفسه : ٥٢٠)

وهذه الابيات بوضوح تدلّنا علي الآيات القرآنية التالية ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴾ (الإنسان/١٥و١٦)وكأنما الحلي يريد أن يخيل للقارئ بأن الحالة التي يصفها الله سبحانه وتعالي في هاتين الآيتين هي نفس الحالة التي عاشها هو بنفسه و يرويها الآن للقارئ.

٤. لا يقتصر شاعرنا في خمرياته بوصف مجالسه الخمرية بل يقوم بإعطاء الوصفات الطبية -كما يعمل الأطبّاء- لينقذ شاربها من حالة الثقل والقبض التي تعتريه ، وهذه الظاهرة نراها و نتعرف عليها في مقطوعة "كلوا و اشربوا" حيث يقول فيها:

أذي الجسمِ شربُ الراحِ قبلَ اغتذائِهِ و للـنفسِ منـهُ غايـةُ القـبضِ و الثقـلِ
كلـوا و اشـربوا أمـرٌ بترتيـبِ شـربِها، ولاتشـربوا الصـهباءَ،إلا علـي أكـلِ

(المصدر نفسه : ٥٢٠)

" كلوا واشربوا" في هذه المقطوعه تأخذ بيد القارئ إلي عدة سور لتخبره بأن الشاعر استمد من هذه الآيات: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (طور/١٩ ، مرسلات/٤٣) ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ (الحاقه/٢٤) لإسعاف نفسه للوصول إلي غايته.

٥. صفي الدين الحلي يري في الخمرة والكؤوس، المعجزات الباهرات والهداية و الثبات و كأنما يعدها من معجزات الله سبحانه و تعالي في مقطوعة "معجزات الخمرة "

أرسَـلَت في الكـؤوسِ بـالمعجزاتِ فأرتنـا الآيـاتِ و البينـاتِ
و تجلـت مـن خـدرِها، فنهضـنا، ومشـينا لفضلِهـا خطـواتِ
كيـف لا تخضـعُ العقـولُ لـديها ؟ و هـي سـلطانُ سـائرِ المسـكراتِ...

(المصدر نفسه : ٥١٦)

من قرأ مطلع هذه المقطوعه تبادرت إلي ذهنه الكثير من الآيات القرآنيه من جملتها الآية التالية: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ (الحج/١٦) كأنما الحلي يريد أن يقول: إنني اهتديت بالخمرة والله هو الذي وعدني بالهداية كما هو في الآية المذكورة أعلاه.

٦. ذُكر فيما سبق أن الحلي لم يمدح الخمرة ونشوتها وسكرها فحسب، بل مدح كلما يتعلق بها وحتي من يهيئ الارضية والأجواء لشربها والالتذاذ بها. نري شاعرنا في مقطوعته المسماة ب"قنان و قيان" يمدح الملك ناصر الدين عمر بن الملك المنصور و هو الملك المنصور ناصر الدين محمد بن العزيز بن صلاح الدين الأيوبي : تولى مصر من ٥٩٥ هـ/١١٩٨ م إلى ٥٩٦ هـ/١٢٠٠ م.، وهو ثالث سلاطين الدولة الأيوبية، لما بذل له من توجه وعناية .

دقّ شـــوالُ في قفـــا رمضـــانِ، و أتـــي الفطـــرُ مؤذنـــاً بالتهـــاني...
كـــلّ يـــومٍ أروحُ فيـــهِ و أغـــدو بـــينَ حـــورِ الجنـــانِ و الولـــدانِ...
في ريـــاضِ الفخريـــةِ الرحبـــةِ الأك... نـــافِ ذاتِ الفنـــونِ والأفنـــانِ
فـــوقَ فُـــرشٍ مبثوثـــةٍ و زرابـــ... يٍ عتـــاقٍ و عبقـــريٍ حســـانِ
صـــحّ عنـــدي بأنهـــا جنـــةُ الخُلـــ... دِ ، وفيهـــا عينـــانِ نضـــاختانِ...
في ظـــلالٍ علـــي الأرائـــكِ منهـــا والـــدوالي ذات القطـــوفِ الـــدواني...
شملتنـــا مـــن ناصـــرِ الـــدينِ نعمـــي نصـــرتنا علـــي صـــروفِ الزمـــانِ...
المليـــكِ الـــذي يـــري المـــنَّ إشـــرا... كـــاً بوصـــفِ المهـــيمنِ المنـــانِ
والجـوادِ السمحِ الـذي مـرجُ البحـ... ريـــنِ مـــن راحتيـــهِ يلتقيـــانِ...
قـــام في حومـــةِ الهيـــاجِ خطيبـــاً قـــائلاً: كـــلُّ مـــن عليهـــا فـــانِ

(المصدر نفسه : ٥٠٨)

نشاهد بأن في هذه الابيات المقتطفه من مقطوعة "قنان و قيان" توجد الكثير من أمثلة التناص القرآني في قسم الاجترار. فمثلا بقراءة هذه الأبيات نستحضر الكثير من الآيات

القرآنيه التي نراها أو نشاهد جوانب منها في هذه الأبيات مثل: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ (الواقعة/١٧) ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ (الواقعة/٢٢) ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ (الرحمن/٧٦) ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (الرحمن/٦٦) ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ (الحاقة/٢٣) ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ (الرحمن/١٩) ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (الرحمن/٢٦) علما بأن الشاعر لم يكتف بالتناص فحسب، بل استفاد من الفواصل القرآنية، مثل: نضاختان، يلتقيان، فان، في سورة الرحمن المباركة قوافيا لمقطوعته هذه. يري الشاعر الأوقات التي يلهو بها مع الخمر و يسكر فيها، تتشابه مع الأوقات الشريفة المذكورة في القرآن الكريم ولايبالي أن يقارن بين هذه و تلك كما فعل في مقطوعة "الملام يغري" حيث قارن بين يوم سكره و ليلة القدر.

رُبَّ يـــومٍ قضـــيتُ فيـــهِ ســـروراً ... فهـــوَ بـــاللّهوِ خـــيرٌ مـــن ألـــفِ شـــهرِ
طـــاب عيشـــي بكـــلِّ ليلـــةِ شـــربٍ ... قُـــدِّرَت بالسُّـــــرورِ ليلـــــةَ قـــــدرِ
فَنَعِمنـــــا بالحاشـــــريةِ حـــــتي ... خِلـــتُ نـــورَ المـــدامِ، مطلـــعَ فجـــرِ

(الحلي ، د.ت : ٥٠٤)

فيبدو واضحا أن النص الغائب القرآني هي سورة القدر و الآيات التالية: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (القدر/١) ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (القدر/ ٣) ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (القدر/٥) جلية في هذه المقطوعة. وكما أسلفنا أن الشاعر يستخدم الفواصل القرآنية قوافيا لمقاطعه الشعرية كما عمل في هذه المقطوعة و اختار سورة القدر لهذا الغرض .

٧. ما أكثر الاجترار الذي قام به شاعرنا الحلي في موارد عديدة و أنواع مختلفة، فيقول أيضا و هو يصف ليلة قضاها في دير بنواحي ماردين:

مـــا مـــاسَ منعطفـــاً في قُرطَـــقٍ و قبـــا ... إلّـــا و عوّذتُـــه مـــن غاســـقٍ وقبـــا

(المصدر نفسه : ٥٠٠)

فهو جاء بآية من سورة الفلق المباركة ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ (الفلق/٣)في مطلع مقطوعته المسماة ب" جنة من رياض الحزن"

٨. وفي هذه الفقرة نذكر مثالا آخر من أمثلة التناص الاجتراري في خمريات صفي الدين الحلي، حيث يأتي شاعرنا و يستخدم الفواصل القرآنية ضمن قوافيه لقصيدة عنوانها " قهوة أفنت الزمان" فضلا عن التناص الاجتراري الذي قام به، ويصف مجلس شربه بتوصيفات أطلقها الباري عزوجل علي جناته.

أذكـــروا، لمـــا أروهـــا النـــديما، مـــن عهـــودِ المعصـــارِ عهـــدا قـــديما
وفضضـــنا ختامهـــا، عـــن أناهـــا، فرأينـــــا مزاجَهـــــا تسنيـــــــما
و ظللنـــا نحيـــي بهـــا جـــوهرَ النفـــ... سِ، ونُســـقي رحيقَهـــا المختومـــا
في جنـــانٍ مـــن الحـــدائقِ لا نســـ... مـــعُ فيهـــا لغـــوا ولا تأثيمـــا
بـين صـحبٍ مثـلَ الكواكـبِ لا تنـ... ظُـــرُ مابينهـــم عُـــتُلا زنيمـــا...
و قـــذفنا بشهبِهـــا مـــاردَ الهـــ... مِّ، فكانـــت للمـــارّينَ رجومـــا...
ثـــمَّ تُـــب، واســـألِ الإلـــهَ تَجِـــدهُ، لـــذنوبِ الـــوري غفـــورا رحيمـــا

(المصدر نفسه : ٤٩٥)

فبينما القارئ يقرأ هذه الأبيات إذ تتبادر إلي ذهنه هذه الآيات: ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ (المطفّفين /٢٧)﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾ (المطفّفين/ ٢٥)﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ (الطور/٢٣)﴿ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ (القلم/١٣) ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (المُلك/٥)﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء/٢٣)

ب) امتصاص:

كما تبين لنا سابقا أن الامتصاص لا يجمّد النص الغائب ولا ينقله، بل يعيد صياغته من جديد وفق متطلبات فكرية و تاريخية جمالية. هذا ما حدث بالفعل في بعض أبيات الحلي الخمرية حيث أتي بآية ما، وفق متطلبات أشعاره ونحن نعرض فيما بعد عدد من هذه النماذج:

١- في مقطوعة " قهوة أفنت الزمان" يتعرض الشاعر لمجموعة من كرامات ومعاجز الأنبياء عليهم السلام و يستنتج أنها من محاسن القهوة. فإليكم نماذج من هذه المقطوعة:

أنبأتنا الأنبـــاءُ عـن سالفِ الدهـــ... رِ وعــدّت لنــا القــرونَ القرومـــا
وحكت كيفَ أصبحت فتيةُ الكهـ... فِ رقــودا، خلــوا، وكيــفَ الرقيمـــا
و بمـــاذا تجنّبـــت نـــارُ نمـــرو... دٍ خليـــلَ الإلـــهِ إبراهيـــــما
و غـــداةَ إمتحـــانِ يـــونسَ بالنـــو نِ، و قــد كــان في الفعــالِ مليـــما
و تشــكّي يعقــوبُ إذ ذهبــت عينـــ ـــاهُ مــن حزنِــه، و كــان كظيـــما
والتنــاجي بــالطورِ، إذ كلّــمَ الرحـــ... مـــنُ موســـي نبيَّـــه تكليـــــما
ودعـــاءُ المســيحِ، إذ نعــشَ الميـــ... تُ مــن رمسِــه، و كــان رميـــــما
فشـــهدنا لهـــا بفضـــلٍ قديـــمٍ وإســتفدنا منهــا النعــيمَ المقيـــما
و فضضــنا ختامَهــا، عــن أنـــاها، فرأينـــا مزاجَهـــا تسنيـــــما

(الحلي ، د.ت : ٥٠٤)

كما هو واضح وجلي أتي الشاعر بمجموعة من الحوادث التاريخية حدثت للانبياء و هو يريد أن يستنتج أن للخمرة والقهوة دور فاعل. فهو وإن لم يكن قاصدا، جاء وتطرق إلي عدة سور وآيات قرآنية ذُكرت فيها هذه الحوادث التاريخية أمثال: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ (الكهف/٩) ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ (الكهف/١٨) ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الانبياء/٦٩) ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الانبياء/٨٧) ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (يوسف/٨٤) ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ

ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ (مريم/٥٢) ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائده/١١٠)

٢- الشاعر يتعامل مع الخمر بلطف ورفق و لين و يعطيها العناية الخاصة و يظهر العجب ممن يتعاملوا معها بأسلوب غير أسلوبه و يذكر رأي الشريعة الإسلامية ضمن أبياته في مقطوعة " أدرها بلطف"

و أعجبُ أنَّ السكرَ في كلِّ ملةٍ ... حرامٌ، و إن أمسي إليها محببا

و تكثرُ منها المسلمونَ لسكرِها ... و تترك نفعاً للقليلِ محرما

(الحلي ، د.ت : ٥٠٤)

و هذه الأبيات تشير إلي الكثير من الآيات القرآنية من جملتها : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة/٢١٩)

وللشاعر بيت آخر في مقطوعة " سلام الخمر" يبين فيه تحريم الخمر و يذكرنا فيه بالآية التالية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة/٩٠) والبيت هو :

حلّت بمزجِها المدامُ ... فالمزجُ لنقصِها تمامُ

لا أشربها بغيرِ ماءٍ ... فالخمرُ بعينِها حرامُ

(الحلي، د.ت : ٥٠٣)

٣- و في المقطوعة السابقة نفسها- سلام الخمر- نراه يقول في البيت الثامن هكذا:

إن قال لها امرؤ: سلامٌ ... قالت: وعليكمُ السلامُ

(المصدر نفسه : ٥٠٣)

حيث يذكرنا بالآية التي تقول: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (النساء/٨٦)

٤- الشاعر لم يخف حبه الشديد و علاقته الوطيدة و المتينة بالخمر إلي حد يبدي كرهه من الأوقات التي لم يتمكن فيها من تناول الخمرة و المسكرات أمثال شهر رمضان و بداية شهر ذي الحجة و يقول في أبيات من مقطوعة " قنان و قيان":

كيف أستشعرُ السرورَ بشهرٍ زعمَ الطبُّ أنهُ مرضانِ
لا تتمُّ الأفراحُ إلا إذا عا... دَ سنا بدرِهِ إلي نقصانِ
فيه هجرُ اللذاتِ حتمٌ و فيهِ غيرُ مستحسنٍ وصالَ الغواني

(المصدر نفسه : ٥٠٩)

و نستحضر عند قراءة هذه الأبيات النص الغائب و هو نص الآية الكريمة التي تقول:«... **وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ**...» (البقرة/١٨٧)الداله علي عدم مباشرة النساء في نهار شهر رمضان الكريم، كما والبيت الثاني يدل علي اقتراب عيد الفطر و جواز الأكل و الشرب.

٥- يذكر الشاعر في جانب من مقطوعة " قنان و قيان" تقربه إلي ملك عصره و تعلقه به حيث يصف هذا التقرب والمؤاخاة بانشداد هارون إلي أخيه نبي الله موسي أو بالعكس حيث يقول:

لذتُ حبّاً بهِ، فمد بضبعَ... يَ وأغلي سعري و أعلي مكاني
و حباني قربا، فأصبحتُ منه مثل هارونَ من فتي عمرانِ

(المصدر نفسه : ٥١١)

وكأنما الشاعر أخذ مضمون هذا البيت الأخير من هذه الآية الشريفة: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ (طه/٢٩-٣٠-٣١)

٦- في مواطن عديدة من قصائده و مقطوعاته يشير الشاعر إلي حرمة الخمر وعدم جواز احتسائها و استعمالها في الشريعة الإسلامية و هذا مما يدل علي سعة علمه و

إطلاعه علي الحكم الشرعي لهذا الأمر و أيضا يخبرنا بأن الشاعر كان عليما بالآيات القرآنية التي جاء فيها حكم تحريم المسكر لأن في كلامه دلالات واضحة علي هذا الأمر، نذكر جوانب من شعره في هذا الباب.:

يقول الشاعر في جانب من مقطوعة "معجزات الخمرة" علما منه بتحريم الخمرة، و لكن يؤكد ويصر علي الفقرة القرآنية الدالة علي وجود نفع في الخمرة:

ألّفــوا في الكــؤوسِ إذ مزجوهــا بــين مــاءِ الحيــا ومــاءِ الحيــاةِ
بــاحمرارٍ يــدبُّ في يقــقِ المــا... ءِ دبيــبَ التضــريجِ في الوجنــاتِ
سبــكَ الــدهرُ تبرَهــا، فــتراءت كسنا الشمسِ في الصفا و الصفــاتِ
جــاءَ نــصُّ الكتــابِ بــالنفع فيهــا لــو خلــت مــن مــآثمِ الشبهــاتِ
نهــكَ المفرطــونَ فيهــا حمــي الإســ لامِ مــن غــيرِ عــدةٍ و ثبــاتِ
لــو حســوها بمــا لهــا مــن شــروطٍ بــدلت سيئاتُهــم حسنــاتِ

(المصدر نفسه :٥١٦)

و في مقطوعة أخري – شربها للدواء حل- يستمر ويصر علي معتقده حيث يقول:

روّنــي مــن ســلافةِ الصهبــاءِ ، فهــي تــروي مــن سائرِ الأدواءِ
واسـقياني بـل اشـفياني، فحفـظُ الـ نفسِ خـيرٌ مـن أن أمـوتَ بـدائي
إن يــكُ شــربُها حــرامٌ علــي النــا سِ بــنصِّ الكتــابِ و الأنبــاءِ
شــربُها للــدواءِ حــلٌّ لباغيــهِ، قياســا لهــا علــي المومياءِ

(المصدر نفسه : ٥١٧)

و في نفس المضمار ومن أجل نفس الغاية يكرر الشاعر كلامه بشكل وأسلوب آخر في مقطوعة أخري تحت عنوان " السلاف النافعه":

حلّــت المومياءُ وهــي مــن الميــ تــةِ، بعــد التحــريمِ للنفــعِ فيهــا
و ســلافٌ بنفعِهــا نطــقَ القــرآ نُ قــد حرّمــت علــي عارِفيهــا
يلــبس الجهــلَ مــن قصــدَ السكــ رَ،فيمســي بهــا الحلــيمُ ســفيها

(المصدر نفسه : ٥٢٣)

و يمضي في اعتقاده و يعلل من أجله و يأتي بالدلائل و البينات المصطنعة من عنده، نقرأ جانباً آخر منها في مقطوعة "تحريم الخمر و تحليلها":

نهي اللهُ عن شربِ المدامَ لأنها ... محرمةٌ، إلا علي من له علمُ

و قد جاء في القرآنِ إثباتُ نفعِها ... ولكنّ فيه من توابعِها إثمُ

و ذاك بقدرِ الشاربين و عقلِهم ... في معشرٍ حلّ و في معشرٍ حرمُ

و لو شاء تحريما علي كلِّ معشرٍ ... لقال رسولُ اللهِ لا يغرسُ الكرمُ

(المصدر نفسه : ٥٢٤)

بعد هذا الإصرار كله يأتي بعلة العلل حسب رأيه لحث الآخرين علي احتساء الخمر في آخر بيتين من مقطوعة" أسياف البرق" إذ يقول:

و ثق أنّ ربّ العرشِ جلّ جلالُه ... غفورٌ رحيمٌ للسرائرِ مدركُ

و ما كان من ذنبٍ لديه، فإنّهُ ... سيغفرهُ إلا به حينَ نشركُ

(المصدر نفسه : ٥٢٢)

نتمكن أن نعرف من هاتين البيتين بأن الشاعر كان واقفا علي حرمة الخمر و معتقدا بها و لكن يعتقد بأن الذنوب كلها ستغفر إلا الشرك بالله فهو ذنب لا يغفر.

المتدقق في هذا النص يري جليا بأن المقطوعة استمدت مضامينها من الآيات القرآنية التالية ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ (البقرة/٢١٩) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائده/٩٠) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة/١٧٣) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ (النساء/٤٨)

ج) تحوير

كما ذكرنا سابقا نقلا عن النقاد وأساتذة الفن، أنّ هذا النوع من أنواع التناص أعلي مرحلة من مراحل استخدام النص، فالشاعر يقوم بتغييرٍ للنص المأخوذ (=المتناص) بأن

يحدث عليه تغييرا عن طريق القلب أو التحوير. وإن كانت أمثلة هذا النوع من أنواع التناص في خمريات الحلي أقل بكثير من النوعين السابقين ولكن نذكرها للتعرف الأكثر.

١- نعرف بأن القرآن أدان شرب الخمر لأنه مسكر و حرمه تحريما باتا، إلا أنّ الحلي عظّمَ الصغيرَ و صغّرَ العظيم، حيث غض الطرف عن حرمته وتمسّك بالفائدة القليلة التي ذكرها القرآن، و قام بتحويرٍ و قلبٍ لمفهوم الآية الشريفة التي تقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (المائده/٩٠) و نص الأبيات المقتطفة من مقطوعة "ربيبة الدير" هكذا:

يقولونَ لي جهلا: متي تتركِ الطلا؟ فقلتُ: إذا ما عاد من فوتِــه أمسُ
و كيفَ إطراحي للمدامِ، و فضلِها جليٌ، علي الأبصــارِ ليس به لبسُ...

(المصدر نفسه :٤٩٣)

٢- الباري سبحانه و تعالي -بما هو باعث للخلق ومكوّن النفوس وجعلها علي الفطرة- بث في الخلق من روحه ليتصف الإنسان بصفات الله و يتقرب إليه و لكن الشاعر بعد التعرف علي هذا المضمون - و المضامين القرآنية السابقة الذكر كما أسلفنا- حوّره و بدّله، و جعل صفة بث الروح و نفح الروح للرّاح، و أعطاها صفة متفوقة و عالية في أبيات من مقطوعة "تسبي و تسبي" التي يقول فيها:

فــإنَّ قتيــلَ الــراحِ يوشــكُ بعثُــه، إذا أنــتَ أترعــتَ الكــؤوسَ لــه سـكبا
إذا نفحــت مــن روحِهــا فيــهِ نفحــةٌ تمثــلَ حيــا بعــدَ أن قضــي نحبــا
فكــم ليلــةٍ أحييتُهــا بمســرةٍ و قضــيتُ فيهــا العــيشَ أنهبُــهُ نهبــا

(المصدر نفسه :٤٩٨)

٣- نعلم بأن صفة القداسة في الشرائع السماوية تطلق علي من يكون بالقرب من الله جل و علا و هذه الصفة أيضا أطلقها الله علي الأزمنة و الأمكنة التي تكثر فيها عبادته و الأشخاص الذين يتقربون إليه أكثر من أقرانهم و نجد في القرآن الكثير من هذه الأمثلة. فمثلا سورة القدر تصف لنا ليلة القدر لما فيها من عظمة و قداسة، لأنها ليلة نزل فيها القرآن و تكثر فيها العبادة و تضاعف فيها الأجور، و لكن

المقياس و المعيار عند شاعرنا بعد العلم بالأمور التي ذكرت، يختلف تماما، حيث عنده معيار إذا تمّ، يكون الزمان خير من ألف شهر و أفضل من ليلة القدر، و هو قضاء يومه بسرور اللهو بالشراب.

ربَّ يـــومٍ قضـــيتُ فيـــهِ ســـرورا فهـــو باللـــهوِ خـــيرٌ مـــن ألـــفِ شـــهرِ
طـــابَ عيشـــي بكـــلِّ ليلـــةِ شـــربٍ قـــدرت بالســـرورِ ليلـــةَ قـــدرِ
فنعمنـــــا بالحاشـــــريةِ حـــــتي خلـــتَ نـــورَ المـــدامِ مطلـــعَ فجـــرِ

(المصدر نفسه :٥٠٤)

٤- ينص كتاب الله بتحريم الخمرة كما ذكرنا سابقا ولكن الشاعر وإن كان هو أيضا ينص بتحريمها و ينقل التحريم ولكن يروي الآيات بسياق كأنما الأمر بالعكس.

ألّفـــوا في الكـــؤوسِ إذ مزجوهـــا بـــينَ مـــاءِ الحيـــا ومـــاءِ الحيـــاةِ
بـــاحمرارٍ يـــدبُّ في يقـــقِ المـــا... ءِ دبيـــبَ التضـــريجِ في الوجنـــاتِ
سبـــكَ الـــدهرُ تبرَهـــا، فـــتراءت كســـنا الشـــمسِ في الصـــفا و الصـــفاتِ
جـــاء نـــصُّ الكتـــابِ بـــالنفعِ فيهـــا لـــو خلـــت مـــن مـــآثمِ الشبهـــاتِ
نهـــكَ المفرطـــونَ فيهـــا حمـــي الإســـ لامِ مـــن غـــيرِ عـــدةٍ و ثبـــاتِ
لـــو حســـوها بمـــا لهـــا مـــن شـــروطٍ بـــدلت ســـيئاتهم حسنـــاتِ

(المصدر نفسه :٥١٦)

٥- يذكر الشاعر من أجل إقناع اللائم علي شرب الخمرة، الآيات تلو الآيات حتي يصل إلي أن يشير إلي آية يستنتج منها وصفة صحية عن لسان الله لاحتساء الشراب بلا أذية و ثقل، حيث يقول في مقطوعة" كلوا و اشربوا":

أذي الجسمِ شربَ الراحِ قبلَ إغتذائهِ و للـنفسِ منـهُ غايـةَ القـبضِ و الثقـلِ
كلـوا و اشـربوا أمـرٌ بترتيـبِ شـربِها، ولاتشـربوا الصهبـاءَ،إلّا علـي أكـلِ

(المصدر نفسه : ص ٥٢٠)

بينما الآية القرآنية لو تعرفنا عليها تقول:﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ (الاعراف/٣١) فلم نجد فيها و في أي آية قرآنية أخري ما يقصده الشاعر و تكون كلماته قريبة للخدعة لا للتحوير فحسب.

أو مثلا في مقطوعة " تحريم الخمر و تحليلها يقول:

نهـي اللهُ عـن شـربِ المـدامِ لأنهـا محرمـةٌ، إلا علـي مـن لـه علـمُ
و قـد جـاء في القـرآنِ إثبـاتُ نفعِهـا ولكـنَّ فيـهِ مـن توابعِهـا إثـمُ
و ذاك بقـدرِ الشـاربينَ و عقلِهـم في معشـرٍ حـلّ و في معشـرٍ حـرمُ
و لـو شـاءَ تحريمـا علـي كـلِّ معشـر لقـالَ رسـولُ اللهِ: لا يغـرسُ الكـرمُ

(المصدر نفسه: ٥٢٤)

ففي الشطر الثاني من البيت الأول يعلن أن الشراب حرام، ولكن يجعل له استثناء وهو" إلا علي من له علـمُ» أما نحن فلم نجد في آية من الآيات المحرِّمة للخمر والشراب هذا القيد و الشرط، فهذا تحوير – أو بالأحري نقول لبس آخر - من شاعرنا الحلي.

٦- يحاول الشاعر بشتي أساليبه أن يجرَّ القارئ نحو شرب الخمر أو يقنعه بأنها مفيدة و يقول في بيت من مقطوعة "أسياف البرق":

فـلا تـنسَ في الـدنيا نصـيبَك، وإبتـدر إلـي الـراحِ، إنَّ الـراحَ للـروحِ تمسـكُ

(المصدر نفسه : ٥٢٢)

فهو أخذ جانبا من آية قرآنيه ولكن قلب المضمون وأبدله حيث تقول الآية: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (القصص/٧٧)فالآية تحمل كلام الله و وصيته إلي عبده رسول الله (ص) والله لا يوصي بالأمور الزائلةكشرب الخمر، بل يوصي بما له آثار باقية في الدنيا والآخرةكالإحسان إلي الخلق.

الخاتمة :

بعد استقراء خمريات الحلي تبين لنا و إجابة علي الأسئلة الثلاثة التي طرحناها في الملخص، أن: شعراء العصر المملوكي- ومن جملتهم: الشاعر صفي الدين الحلي - استفادوا من التناص في أشعارهم، و تبين حسب رأي الشاعر أنه يمكن للشاعر أن يستفيد من الآيات القرآنية في أشعاره و إن كانت الأشعار، خمريات. و رأينا الشاعر صفي الدين الحلي استخدم التناص بأساليبه الثلاثه – الاجترار، الامتصاص، التحوير- في خمرياته ليخلّد أشعاره باستخدام الآيات القرآنية لأنه علي علم بأن الله هو القائل:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر/٩) فأراد أن تبقي الأبيات ببقاء الآيات. و استخدم القرآن بأحسن شكل ممكن لتلطيف الموقف و إنشداد القارئ بالأشعار، وإظهار قوّته وبراعته و قدرة بيانه وهذا ماهو واضح و جلي في خمريات صفي الدين. و الجدير بالذكر نهائيا أن بعض الأبيات الشعرية بما تمتاز به من الميزات النصية تدخل ضمن تسميتين أو ثلاثة من أنواع التناص و هذه أيضا ميزة أخري من الميزات التي حازت عليها خمريات الحلي.

Abstract

The phenomenon of religious intertextuality and employing this phenomenon in Quranic texts is one of developed methods that is being used in poetry. Regarding allegory and its benefits in poetic texts for extending the domain of meaning, this method makes poetry intellectually profound and opens it in contrast to interpretation in humans' mind. In addition to its role in sacralizing the poet's words,. This is what happened when the seventh chapter of Safiedin Al-Heli's complete poetic works (divan) as called "Khamriat va Nobath va Zahriat" was read. A chapter that contains ninety poems. Despite the fact that we regarded Quranic intertexuality scarce in such poetries, we discovered that this kind of expressions that Heli has used about wine in his poetry is unlike to Sufis' metonymic expressions, but they are what is known as Nowasi's wine. However according to some statements Nowasi's wine is what Sufis represent as symbol of spiritual pleasure. This research through its analytical expressional methodology is going to answer following questions:

Key words : Safiedin Al-Heli , Quranic intertexuality , Wine Poetry .

قائمة المصادر و المراجع

وخير مانبتدىء به القران الكريم

الف- الكتب:

١- الحلي، صفي الدين، الديوان ، بيروت ، دار صادر ، د.ط، د.ت .

٢- رزق سليم ، محمود ، ١٣٧٧ه/١٩٥٧م ، الادب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، مصر، مطابع دار الكتاب العربي .

٣- السعدني، مصطفي ،١٩٩١م ، التناص الشعري قراءة أخري لقضية السرقات ، توزيع المعارف بالاسكندريه جلال حزي و شركاء،
٤- علاء الدين، رمضان السيد، ٢٠١٤م ،ظاهرة التناص بين الإمام عبدالقاهر الجرجاني و جوليا كريستيفا، كلية اللغة العربية بإسيوط، القاهرة
٥- الفاخوري، حنا ، ١٣٩٠ ، تاريخ الادب العربي، الطبعة الثامنة،طهران، نشر توس،
٦- فوزي الهيب، أحمد ، ٢٠٠٤ ، التصنع و روح العصر المملوكي ،دمشق، اتحاد الكتاب العرب.
٧- عزام ، محمد ،٢٠٠١م ، النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، دمشق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب،
٨- كريستيفا، جوليا،١٩٩١م، علم النص، دار توبقال للنشر، الدار البضاء- المغرب

ب- المجلات و الاطروحات:

١- حسين حيدر، بادية ،حزيران١٩٨٦م ،« الخمر في الحياة الجاهلية و في الشعر الجاهلي» ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الاميركية، بيروت، ١٩٨٦م.
٢- سارة، زاوي،« جماليات التناص في شعر عقاب بلخير»، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، المسيله
٣- سليمي ، علي ، كياني، رضا ، ١٣٩١ه ش/٢٠١٢م « التناص القراني في شعر محمود درويش وأمل دنقل » ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد التاسع، ربيع،٢٠١٢م، ص١٠٥
٤- سيفي، طيبه ،پائيز و زمستان ١٣٩٠ ، « بينامتني اشعار عبدالوهاب البياتي با قران كريم» ، دوفصلنامه تخصصي پژوهشهاي ميان رشته اي قران كريم، شماره پنجم ،سال دوم، ص٧٢
٥- معاش، حياة ، ٢٠٠٤-٢٠٠٣م ، التناص في تائية ابن الخلوف، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الأدب المغربي القديم، كلية الاداب و اللغات جامعة محمد خيضر-بسكرة (الجزائر)

٦- محمد فارس سليمان عبدالمنعم، ٢٠٠٥، «مظاهر التناص الديني في شعر احمد مطر» ، أطروحة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين